

عادات وتقاليد النوبيون المصريون



إلى الجنوب من مدينة أسوان وعلى ضفاف نهر النيل الخالد لمسافة تبلغ 320 كيلو متر حتى التقاء حدودنا بحدود السودان تقع منطقة النوبة او ارض الذهب كما أطلق عليها القدماء منذ الاف السنين . ذلك العشق القديم قدم تاريخه الطويل بكل ما فيها من عبق الروائح والوجوه السمراء الباسمة التي تلهج بالدعاء والطيبة.

يجعلك تستأنس جواره وصداقته وتأمنه، ويمتاز بالجرأة وحب الاستقلال وشدة التعلق بالأرض والحفاظ علي التراث والهوية واللغة . أهل النوبة لهم لغة خاصة بهم ”اللغة النوبية“ بالإضافة لهجة المصرية المعروفة كما أنهم يتحدثون الانجليزية والفرنسية والايطالية نتيجة اختلاطهم بالسائحين .

ومن الناحية الفسيولوجية، يتسم البنيان الجسماني لمعظم النوبيين بالأجسام القوية والتقاطيع الوسيمة وهم أقصر قليلاً من المصريين، لا شوارب لهم ولحاهم صغيرة ولا تتجاوز أسفل الذقن ، ويعمل معظمهم في الزراعة.

أما النساء فقد ذكر (الرحالة بوركهارت) أنهن تتصفن بالقامات الرشيقة والوجوه الطلقة، وإن لم تكن جميلة في الشكل تجدها لطيفة في غاية اللطف، يوكل إليها كل شئون البيت وجلب المحاصيل والتربية والنظافة ورعي الماشية والمشاركة في موسم الحصاد وبذر البذور، كما تقوم النساء بعمل الأنوال الصغيرة لغزل العباءات من الصوف الخشن، و من القماش القطني يصنعون القمصان الخاصة بهم وهن مشهورات بمنتجات سعف النخيل الذي يصنعن منه الحصير (البرش) والأطباق التي توضع كغطاء للخبز، والصواني والسلال التي يوضع فيها البلح وسلال كبيرة لحمل مختلف الأغراض، كما تصنعن من بواقي الأقمشة سجاداً للصلاة، وفرش للجلوس عليها.

عندما يشب الطفل في النوبة يتمثل همه الأول في شراء مدية معقوفة صغيرة يلبسها الرجال وتكون مشدودة إلي المرفق الأيسر تحت الثياب، وعند إنتقال النوبي من قرية إلي أخرى يحمل معه عصاه الشهيرة والتي يُطلق عليها(نبوت) أو رمح طويل يبلغ طوله خمس أقدام، أما اللباس التقليدي

تضم منطقة النوبة 38 قرية وبنديراً واحداً والقرية او المدينة النوبية تتكون من مجموعة من المساكن المتباعدة، والتي تقع غالباً على ضفة النيل او كلا الضفتين وتسمى جُعباً .

ويُعد النيل طريق المواصلات الوحيد بالنوبة إذ إن ظروف المنطقة وطبيعتها تجعل من العسير إيجاد طرق صالحة للنقل البري ويستخدم النوبيون البواخر النيلية والمراكب الشراعية للانتقال من قرية إلى أخرى، فيما تستخدم الدواب للانتقال عبر دروب الجبال بين القرى القريبة.

يُعد النوبيون أكثر الشعوب بساطة وترحاباً بالغرباء والضيوف، كما أنه استطاع قديماً بناء حضارة عريقة وحكم بعدالة وأنواع الحب في العالم القديم وقاتل وحارب بشهامة وقوة، ولقد حافظ النوبي على السمات النوبية والعادات والتقاليد واللغات المتوارثة من زمن الأجداد وظل محتفظاً بتراثه الشعبي



المتميز حتى الآن والمتمثل في (اللغة النوبية التي تتميز بأنها من اللغات التي لا تُكتب، والفن النوبي، والتراث، والزى، والثقافة، والمعمار، الأكلات،الأفراح، والإحتفالات الدينية النوبية).

تتسم شخصيه النوبي بالبساطة والتلقائية، تستطيع أن تقرأه من صفحات وجهه، الأمر الذي

تمتد لمدة طويلة حتي يتم الاستعداد ماديا والانتهاء من ترتيبات الزواج . وكانت العادة ألا يري العروسين بعضهما البعض حتي ليلة الزفاف. وكان تقابلهما بالصدفة من النوادر وفي حالة حدوث ذلك كانت العروس تجري لتطرق باب أقرب بيت لتداري نفسها عن



(الدرق) فتتفاوت أحجامه فمنها المستدير ذو السرة في وسطه، ومنها ما يكاد يغطي الجسم بأكمله، ويتميز النوبي من عرب الشافية بصناعة درع من جلود فرس

ومن المؤلف أن يتم دفع قيمة مالية شهرية للعروس أثناء الخطوبة يكون تقديرها متروك لأهل العروسين ويتم تبادل الهدايا في الأعياد. ولا يدفع أهل العروس أي شئ سوي بعض الهدايا العينية. بينما يتحمل العريس كل شئ تقريبا لتجهيز البيت من جميع حاجياته وعندما يرزق الأبوان بطفل ذكر، يتم الاحتفال يوم سبوعه بذبح ذبيحة حيث تتلى الآيات القرآنية ويتم خلالها اختيار اسم المولود الذكر. أما إذا كانت المولودة أنثى فيقتصر حفل السبوع على دعوة الأصدقاء حيث يذهبون بصحبة الوالدين إلى شاطئ النيل وهناك يتم إعطاء المولودة إسم لها.

من ناحية اخري يعد الطلاق من الامور البغيضة فى بلاد النوبة وقلما يوجد طلاق في الزيجات النوبية

البحر لا تؤثر فيها ضربات السيف أو الرمح، وكذلك يعتني القادر منهم ماديا بشراء السيوف ذات النصل الطويل والمستقيم والذي يبلغ عرضه بوصتان ويكون مقبضه علي شكل الصليب.

- وقد وضع حكماء بلاد النوبة القديمة بعض القيم والمبادئ والنواميس والأخلاقيات العامة التي تمثل في مجموعها السمات النوبية الأصيلة بقيمها وأصالتها ومنها :

▪ يُعد القتل من المحرمات ويمنع بتاتا لأي سبب إلا لثلاثة أسباب (الدين - الشرف - الأرض) وعقاب القاتل بغير ما ذكر من الموانع الثلاث السابقة أن يتم نفيه من بلاد النوبة بالكامل دون عائلته. ولذا تندر حالات القتل بين النوبيين بشكل عام .

▪ يتم الرجوع لكبار رجالات القبائل لحل المشاكل التي قد تنشأ بين الأفراد أو الأسر أو القبائل، ففي حال وجود مشكلة أسرية يتم استشارة عميد الأسرة وإن كانت المشكلة قبلية يتم استشارة رؤساء القبائل (المجالس العرفية) ولا تتم الاستعانة بأي سلطة خارجية مهما عظم الأمر. وفي حال التوصل لحل يَجبر كل طرف بالحكم بشكل نهائي. جدير بالذكر أن الإحصاءات لم تسجل أي حالات للتأثر طوال تاريخ بلاد النوبة.

▪ من التقاليد المرعية أن يتم زواج النوبية من رجل نوبي، ولا تتم الموافقة علي زواجها بغير النوبي نهائيا، أما الرجل فله الحق من الزواج بأي امرأة ومن أي مجتمع مسلم أو نصراني أو حتي يهودي.

• الزواج في بلاد النوبة :

غالبا ما يتزوج الشاب النوبي في سن تتراوح ما بين 18 و 22 سنة ، أما الفتاة فمتوسط سن الزواج ما بين الـ 15 و 20 عاما ، وينبغي أن يتم الزواج بتراض تام من جانب العروسين، يسبقه فترة خطبة قد



الجدارية التي تزين واجهات المنازل ومدخلها، وكذلك مشغولات الخرز وزخارف مشغولات السعف والخصوص.

وكما قلنا من قبل كثيراً ما تحمل العناصر الزخرفية دلالات معينة، فالسيف يرمز للبطولة والشجاعة، ويوحى الهلال والنجمة - وهما رمزان إسلاميان - للتفاؤل، وكذلك الأمر بالنسبة للقطعة السوداء التي توشي أيضاً بالتفاؤل، أما الغراب والبومة فهما رمزا الشؤم والخراب، في حين ترمز الزهور والورود للصدقة والمحبة



مهما عظمت المشاكل وفي حال حدوثه - بعد استنفاد كل سبل التصالح ونصائح الأهل- يتم مراعاة أمور النفقة والعدة، وتذهب الزوجة إلي بيت أبيها بحاجياتها التي بحوزتها ويترك لها بعض حاجياتها بالتراضي، وفي حال وجود أطفال يتم تعيين نفقة الأطفال حسب راتبه الشهري طبقاً لوظيفة وراتب الزوج ومستواه الاجتماعي حيث ينبغي عليه توفير البيت والملبس والعلاج كما يكون مسئولاً عنهم مالياً حتى سن الرشد واجتماعياً مدي الحياة .

• الرقص والغناء :

لعل من أهم ما يميز الرقص الشعبي النوبي أنه رقص جماعي يشترك فيه الرجال والنساء من كل الأعمار، وغالباً ما ترتبط الرقصات بمواسم وأعياد الزراعة والحصاد ، ومن أشهر الرقصات النوبية (الأراجيد).

• الفن النوبي التقليدي دلالاته ورموزه :

يعكس الفن النوبي خصوصية الثقافة النوبية، ويتضمن رموزاً تعكس دلالاتها معتقدات شعبية وسحرية ويتجلى ذلك في الوشم الذي يتجمل به الرجال والنساء النوبيات علي حد سواء، وفي الرسوم



أما الإبريق وسجادة الصلاة فيرمزان للطهارة والنقاء.

• البيت النوبي:

يتكون البيت النوبي في العادة من مدخل، والفناء عادة ما يكون علي شكل حوش سماوي الشكل، غرف نوم تسمى (القباوي) ، الخزن ، مطبخ يسمى بال(الديوكة) ، المرحاض، المزيرة، وفي العادة يكون سقف البيت النوبي مكوناً من جذوع النخل (الأومبو) الذي يتم تجهيزه بصورة معينة بحيث يمتد بين الحائطين الأساسيين في كل غرفة من غرف البيت النوبي، المرق إما يكون مفرداً أو مثنى بحسب مساحة الغرفة ويكون أحياناً ثلاثياً في الديوان الذي يكون عادة أكبر غرف المنزل تقريباً.